مجلة الموروث مجلد: 05 عدد: 02السنة: 2023
ص: 42 - 57 ISSN:2710-8503/EISSN:2992-1538

السرد الروائي المعاصر وتجربة المعنى

Contemporary Narrative Fiction and the Experience of Meaning

نسرين عطية*، محمد كنتاوي[2]

Nesrine attia[1], mohamed kantaoui[2]

جامعة أحمد دراية، أدرار (الجزائر)،

جامعة تامنغست (الجزائر)

مخبر الفضاء الصحراوي في مدونة السرد.

University of Tamanghasset Algeria (Algeria)

University Ahmed Deraya, Adrar (Algeria)

2 Kantaouimed2301@gmail.com 1 nesrineat83@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023/08/15	تاريخ القبول:2023/09/21	تاريخ النشر:2023/10/15

ملخص البحث

يندرج هذا البحث في سياق الاهتمام العلمي بالسرد الروائي المعاصر، ذلك أن الرواية العربية كانت ومازالت تطرح عددا مهما من الإشكاليات الدقيقة، ومع تطور المناهج النقدية توسعت الرؤية العامة للنصوص الروائية، وباتت نصوصا عميقة تسعى إلى بعث أبرز قضايا المجتمعات وأكثرها تأثيرا، وتلازما مع الإبداع المعاصر الذي مس اللغة والرواية شكلا ومضمونا، شهد النقد كذلك تطورا متميزا وتحولا نوعيا من الجانب الجمالي إلى الجانب المعرفي الثقافي، وأتاح هذه التحوّل فرصة التركيز على المعنى بدل الشكل، وهذا ما يدفع الباحثَ إلى تأويل النصوص واستنطاقها، وإعادة النظر فيها واكتشاف المسكوت عنه أو الملمح إليه، وعلى هذا الأساس اخترنا دراسة السرد الروائي المعاصر وتجربة المعنى التي هي في اعتقادنا من أكثر ما يلهم المرسل من جهة ويثير حفيظة القارئ من جهة مختلفة.

الكلمات المفتاح : سرد؛ تأويل؛ معنى؛ نقد؛ نص؛ معاصر.

* نسرين عطية: nesrineat83@gmail.com

Abstract :

This research falls within the context of scientific interest in contemporary novel narratives. This is because the Arabic novel was and still is raising an important number of subtle issues. With the development of critical approaches, the general vision of fictional texts expanded, and profound texts appeared that seek to raise the most prominent and influential societal issues. In conjunction with contemporary creativity that has affected language and the novel in form and content, criticism has also witnessed a distinct development and a qualitative shift from the aesthetic aspect to the cultural cognitive aspect. This transformation provided the opportunity to focus on meaning instead of form, and this is what prompts the researcher to interpret and interrogate texts, reconsider them and discover what is hidden or hinted at. Based on these premises, we have chosen to study contemporary narrative fiction and the experience of meaning, which, in our belief, inspires both the sender and provokes the curiosity of the reader from various perspectives.

Keywords: Narrative, Interpretation, Meaning, Criticism, Text. Contemporary.

1. مقدمة:

حقق السرد الروائي تراكما كميا ونوعيا وشهد تحولات عميقة، انعكست على النصوص الروائية شكلا ومضمونا، كما جسدت الرواية ابعادا ثقافية معرفية للأوضاع الراهنة، وأسئلة الواقع والمجتمع، وقد نتساءل بعد قراءتنا لأي نص، ما الذي نسعى إليه من خلال هذه القراءة؟ وهل هناك اختلاف في المعنى الذي يريده الكاتب وما يضمره النص؟ وهل من المهم والضروري أن تكون مقصدية النص هي ما يقوله الكاتب؟.

وأسئلة كثيرة تبعثنا إلى البحث في العلاقة بين الكاتب والنص، لكن المؤكد أن العلاقة بينهما تكمن في مستوى القدرة التي يمتلكها المبدع للسيطرة على نصه، فالكاتب عند كتابته لرواية جديدة يحرص على توجيه القارئ إلى معنى محدد ويدفعه إلى تشكيل انطباعات مقصودة، وهذا ما سماه كثير من النقاد بالقارئ المضمر، والمقصود منه ذلك القارئ الذي يصنعه النص، في ظل جملة لا متناهية من الانطباعات المختلفة بين الموجبة والسالبة، وتولد بدورها ردود أفعال وانفعالات كافية لرسم صورة موازية للنص في المجتمع.

ولقد وقع الاختيار بعد تأمل طويل على الحقبة الزمنية المعاصرة من أجل الوقوف على حال الرواية العربية المعاصرة، وإسهاما في تحرير بعض القضايا التي يمكن أن تفيد دارسي الرواية ومبدعيها، بل حتى قراءتها، فقد شهدت الرواية العربية خلال هذه الفترة قفزات نوعية، واستطاعت الانسلاخ من عباءة المحافظة، ومنه برزت أعمال روائية ذات علامات مميزة في تاريخ الرواية المعاصرة، عكست طابع التجديد، وقد عكف فيها المبدعون غلى إنتاج أشكال تتناسب مع درجة وعيهم.

وبعد التطور الحاصل للنقد فقد تطورت قراءة النصوص الأدبية، وأصبح إلزاما على كل باحث وناقد عدم الفصل بين الشكل والمضمون، المبنى والمعنى؛ إذ لا يمكن أن تكون فيها دراسة للجوانب الفنية الصرفة، أو تتبع للمضمون في حد ذاته، وهنا كانت الإشكالية التي وقعت فيها معظم المناهج التي وانحصر اهتمامها على الخطاب وركزت عليه دون سواه من العناصر الداعمة لعملية الإرسال والتلقي،إذ لابد من ربط الشكل بالمضمون باعتبارهما عنصران متلازمان وكلا متكاملا للوصول إلى الدلالة العميقة.

وانطلاقا من ذلك فقد سعينا في هذه مراحل هذا البحث إلى النظر في كيفية تشكيل المعنى داخل النصوص السردية الروائية، واعتبارها وشيجة مترابطة وممتدة من البداية الى النهاية لغاية يريد الكاتب تحقيقها ولطرح قضايا مهمة على مختلف الأصعدة والشرائح.

2. النص الروائي وآفاق التأويل:

1.2. النص الروائي وآفاق التأويل:

اتسمت النصوص الروائية بتعدد موضوعاتها التي أغرت قارئها لربط ذلك النسيج العميق، هذا النسيج هو الذي دفع بالمتلقي إلى التأمل في مضمون النص الروائي من أجل الوصول إلى المعنى المقصود الذي يريده الكاتب، ولعل النصوص الروائية الحديثة والمعاصرة التي اتسمت بالتعدد في الخطاب والموضوعات خير أنموذج، كما أن الكتابة الابداعية لدى الروائي تتطلع "إلى خلق أبنية جمالية تقوم على مرجعيات متعددة، تحاول بناء عالمها الخاص بكل إيحاءاته ورؤيته، وتجسيدها لأشكال الصراع ووحدة التلاحم في الواقع، وخلق رموزها وفضاءاتها، كالأحداث السياسية والتاريخية وصوت الذاكرة، واستعدادات تخلقها استراتيجية الكتابة والمجتمع مع لتصبح رامزة للقوى المجتمعية والتاريخية بكل إحباطاتها وتطلعاتها.

والكتابة عند الروائي سعي إلى المعرفة أو وضع سؤال نحو معرفة إنسانية وضعا فنيا"[1]، ولقد سعت الدراسات الأدبية إلى احداث مقاربات نوعية للنصوص الروائية الحديثة والمعاصرة على اختلاف مصادرها وأشكالها ومضامينها، وقدمت بذلك دراسات متخصصة في النقد الروائي بحسب طبيعة النصوص الروائية المدروسة، وبحسب طبيعة المناهج التي اختصت بمقاربة هذه النصوص، والحقيقة أن واقع الاقبال على قراءة الرواية وتحليلها، كان نتيجة لاقتناع الباحثين بأهمية هذا الفن في الفكر الإنساني المعاصر.

ولأن هذا الفن صار قادرا على امتلاك آليات التعبير على هموم العصر ومشاغله، وعلى معالجة المواضيع والإشكالات الواقعية المعقدة، " وهذا ما أنتج لدى القارئ ميولات فعليه للرواية، وأضحت تتحدد هذه الميولات بدوافع ذوقية وفكرية ثقافية، وفي هذه الحال أمكن التمييز بين ما هو عاطفي ذاتي، وعلمي وموضوعي، حيث أن القراء يتعددون تبعا لاهتمامهم واستعداداتهم وميولاتهم الفنية، وإمكاناتهم الفكرية، فمنهم من يقبل على قراءة الرواية بدافع الفضول وموهبة المطالعة، ومنهم من تكون القراءة بالنسبة إليه وسيلة لإحداث المقاربات وانجاز الدراسات العلمية وفق منهج متبع"[2].

يسعى الروائي المعاصر إلى طرح رؤية جديدة ومغايرة، وذلك على مستوى "الأبنية الفنية والفكرية وحتى الثقافية المعرفية، وما يتولد من خلال ذلك الجدل المتعدد الأطراف، ليرجع ويطرح على الراهن رؤيته بكيفية النظر إلى العلاقة بين الماضي وما بقي من أثاره من ناحية أخرى، والطريقة التي يستخرج بها المعنى من هذه الآثار، ومن ثم فهو يدعو إلى الاعتقاد بأننا نعيش فترة فكرية جديدة"[3]، فالوعي شرط عام لتحقيق أي بداية ناجحة

وكما يقول "إدوارد سعيد" فإن "وعيا مكثفا بل نزقا أيضا، لما يحدث فعلا حين نكون على وعي بالبداية يطرح المهمة بالفعل بصورة شديدة الخصوصية لأن هذا الطرح يدشن وجود مشروع بالدلالة على القصد إلى خلق المعنى، وانطلاقا من وحدة النص الأدبي وتكامله، ومن مقصدية بدايته وعلاقتها، تتوجب النظرة إليه نظرة شمولية كاملة تضعه بكامل عناصره وأجزائه على مائدة واحدة ثم تلتقي عليه تلك النظرة التي لا ترى البدء إلا في ظل الخاتمة ولا ترى الوسط إلا من خلال السابق واللاحق حتى كأنما يصبح النص بأكمله كلمة واحدة لا يمكن إعطاء أي حرف

فيها معنى إذا فصل عن بقية حروف الكلمة، وإذا كان النص يقوم على مبدأ التتابع في مستواه اللغوي فإنه ليس بالضرورة كذلك على مستوى الأفكار"[4].

فقد شغلت قضية تجديد النصوص السردية الروائية العديد من المفكرين والباحثين الذين أدركوا أن تبلور فهم عصري جديد للأدب من شأنه أن يجدد حضورهن وحضور النقاد والباحثين، في دائرة التواصل الثقافي، وتكريس مبدأ حل القضايا الاجتماعية، كخطوة أساس لتحرير الإنسانية، فالخطاب الأدبي الروائي يستدعي الإقرار على أنه خطاب مضمر، لزم فهمه في ضوء المعطيات الثقافية والتاريخية وحتى الدينية والسياسية والاجتماعية، ولعل هذه المسألة هي التي أثارت أشد الزوابع بين النقاد والباحثين للوصول إلى مفهوم النص، على الرغم من حرصهم على عدم الفصل بين النص وواقعية محتواه وانتمائه إلى أفق المجتمع، فالرواية رسالة وبالتالي فإن الرسالة تمثل علاقة اتصال بين مرسل ومستقبل من خلال شفرة، أو نظام لغوي.

2.2. وظيفة النقد في تطور الرواية العربية المعاصرة:

يصعب اخضاع العمل الفني إلى منهج واحد يدعي القدرة على الاحاطة بمختلف أبعاد العملية الإبداعية، ولا سيما في النصوص الروائية المعاصرة، التي باتت إبداعا بالغ التعقيد والكثافة، ذلك أن لكل منهج حدوده، ودون إقصاء لأي منهج فكل منهج يسمح بمقاربة بعد وجانب معين من الأبعاد المكونة للنص الروائي، فالنقد لا يتطابق " مع ذاته وفي آليات التأويل، وفي مستوى الرهانات.

غير أن السؤال الذي كثيرا ما يعترض المشتغل بهذا المجال يتمثل في مدى استجابة الاختيارات النقدية المختلفة لوظيفة النقد، ذلك أن محاولة تحليل العمل الفني تفترض معرفة أفق انتظار هذه العملية الفكرية، كما هو الشأن بالنسبة لفائدتها ومآلها، فهي تكثيف لحضور العالم والواقع، لا تمثل الأعمال الفنية منحى وحيدا ولكنها تلتقي لتشكل عددا كبيرا من وجهات النظر حول الإنسان والعالم"[5].

إن الحركة النقدية تواكب وتساير الحركة الأدبية في جل تحولاتها في الضعف والقوة في حد سواء، وبذلك يكون الأدب والنقد قد اكتسبا مفهوما جماليا تقويميا بالدرجة الأولى، إلا أن البعد الذي حدد الإطار المفاهيمي العام لحركتي الأدب والنقد قد تم اختراقه في العصر الحديث، "بحيث لم يبق سجين الذات بل تجاوزها إلى أكثر من ذلك إلى الآخر، هذا الذي حل ضيفا مثقفا

ومحضرا، وفي كل الحالات النقد موجود ويعكس مفهومه مستوى الوعي وكذا الوضع الفكري الثقافي والسياسي السائد في كل حقبة"[6].

احتلت الرواية حيزا متميزا في الراهن الثقافي والفكري، وفي سيرورة البحث الجامعي نحو الحداثة، من خلال انفتاحها على المناهج النقدية المعاصرة، كالبنيوية، وما البنيوية، كالسيميائيات، والسرديات، والتفكيكية، والنصانية...الخ، وما ارتبط بهذه المناهج من مناهج مساوقة أو متفرعة أو مكملة، كالتداولية، والسوسيو نقدية، والموضوعاتية، والقراءة والتلقي الجمالي للنصوص، وذلك لكون النماذج النصية الجديدة منها، والتي نصطلح على وسمها بالخطاب الروائي الجديد، تطرح جملة من القضايا المحايثة لهذه المناهج، المرتبطة بإشكاليات تطور هذا الجنس وتحولاته السريعة، التي فاقت كل التوقعات، انطلاقا من إلحاحها على تأكيد جدتها وتفردها، وتبنيها لنزعة حداثية متطرفة وبعيدة عن كل مهادنة في مساءلتها للراهن في تجلياته الفكرية والجمالية، من خلال محاولاتها خلخلة القيم الجمالية القائمة وتجاوزها، وفتح آفاق غير منتظرة أو متوقعة من التدريب والتجديد، تبعث على الحيرة والادهاش.[7]

إن الحديث عن الرواية الجديدة والمعاصرة بوصفها خطابا هيمنت في الوظيفة الشعرية، يدفعنا حتما إلى ذكر اسهامات النقد ومناهجه في تحديد ماهية النص ووصفه؛ فتميز النص الروائي وفردانيته وانغلاقه هي ما تجعل منه أثرا فنيا لا مجرد ممارسة لغوية، أو جنسا من الإخبار، فلا مكان لنص روائي خال من الأدبية.

ومن الضروري في ظل هذه المستجدات التي تحيط بالنص أن نلقي بالا لهذه الفردانية نظرا لما تطرحه "من اشكاليات في مجال القراءة والتحليل، يرى العديد من النقاد أن قراءة النص، لابد أن تمر بمسار مزدوج، حيث يتم المسار الأول اكتشاف الظواهر وتعيينها وإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النص، والبنية المرجعية، من ناحية التجاوزات وصنوف الصياغة؛ ويأتي المسار الثاني تابعا للأول، ويشكل مرحلة التأويل والتعبير، وعندها يتمكن القارئ من الغوص في النص والانسياق في أعطافه، وفكه على نحو تترابط فيه الأمور وتتداعى، ويفعل بعضها في بعض"[8].

فلقد تطورت دراسة النصوص الأدبية من الأدبي الجمالي إلى الثقافي المعرفي، ومن المؤكد أن "وفرة الخطابات التي نلمحها الآن في السنوات الأخيرة القليلة الباقية من القرن العشرين، هي علامة أخرى على التعددية التي تميز المشهد النقدي في كل مكان. وآية ذلك ما نراه من تهاوي

المركزية الأوروبية الغربية في الخطاب النقدي الأدبي الحالي، فالنقد الثقافي لا يدور حول الفن والأدب فحسب، وإنما حول دور الثقافة، في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والإنثروبولوجية، بوصفه دورا يتنامى في أهميته، ليس لما يكشف عنه في الجوانب السياسية والاجتماعية فقط، بل لأنه يشكل كذلك النظم والأنساق والقيم والرموز، ويصوغ وعينا بها. ومن هنا تتبدى علاقة النقد الثقافي بالإنثروبولوجية الرمزية المقارنة، كما يسعى الخطاب الثقافي إلى تعظيم شأن الصورة "[9].

فالقص ما بعد الحداثي حاول أن يقرأ الواقع كما هو، بكل تشظياته وتناقضاته، كما يركز على المهمش، وعلى صعيد آخر، " يقرر إمبرتو إيكو أن السارد ما بعد الحداثي يدرك أن الماضي يبعث من جديد، لأنه لا ينبغي تدميره، فتدميره يؤدي إلى الصمت وإحياء الماضي للظرفيه ينبغي أن يتسم بالسخرية لا بالبراءة، وهي سخرية فاعلة منتجة وليست مدمرة، أي تعيد قراءة الماضي بروح جديدة تنصب على الحاضر، على حين أن الحداثة كانت تتمنى أن تلغي الماضي، ولكن ما بعد الحداثة تعود إليه في أي وقت تاريخي وبروح ساخرة، وهو منظور يستحق المقارنة بالنبرات الغامضة والنزعة العدمية التي نصادفها"[10].

إن النقد العربي المعاصر، رغم ما نتبين فيه من تأثيرات أوروبية وبسببها فهو مرتبط بمختلف بمختلف الظواهر الإبداعية، أن اتجاهاته المختلفة، أحد التجليات البارزة للفكر النظري العربي المعاصر عامة. فشرط النقد أن يبحث، ويقدم أسئلة، وقراءات مختلفة ومتعددة. فالتعدد هو وحده طريق الوصول إلى تحليل النص وتفكيكه.

وبناء على ذلك فإن محك الواقع، وتربته المحلية، يمثله منطلق اتجاهات النقد العربي في الحوار بين نص وآخر، واستخلاص أحيانا بعض القوانين المضمرة في حركة تطورنا الأدبي، وكأن من الأهم بعدئذ أن تتجه الجهود، نحو اكتشاف القوانين العامة للمسيرة الأدبية النقدية في التراث والعصر الحديث على السواء.

وعليه يمكننا القول، أن لكل ناقد معركته الكبيرة، والمقصود بذلك، أن النص الأدبي لا يعرف حجمه الحقيقي، ويكتسب معناه الكامل، إلا حين يتحقق بقراءة نقدية من حوله، والقراءة بوصفها آلية من آليات الإنتاج الفكري والنقدي، لابد أن تتعدد، وتخضع هذا التعدد إلى تأويل أولا، وإلى مجموعة المتغيرات ثانيا، لا ينفرد أحدهما بالسيطرة على عملية التأويل، وأهم هذه

المتغيرات طبيعة العلم الذي يتناول النص أو الخطاب، أي المجال الذي يحدد أهداف التأويل وطرائقه [11].

تعددت الكتابات النقدية التي عالجت تاريخ الرواية العربية من خلال إشكالية التحقيب، ومراحل تطور الأدب العربي من خلال إشكاليات التحقيب، ومراحل تطور الأدب العربي قديمه وحديثه. وسنتجاوز بداية الحديث عما يسمى ب " **القطيعة** " بين مراحل الأدب العربي، لأننا نفضل وسم هذا التطور الأدبي (والروائي) ب " **التحول الثقافي** "الذي أدى إلى تغيير رؤى العالم، وتبديل الحساسيات الأدبية.

والحقيقة أن هذا التحول كان قبل النهضة ظاهرة حتمية في طريق تطور الأدب والنقد من جهة وجهة مقابلة هو عامل مهم في إنتاج أنماط ثقافية ومعرفية، وأشكال للكتابة الأدبية لم تعرفها الثقافة العربية من قبل، ونعني بذلك القصة والرواية والمسرحية. وهذا التحول الثقافي سيتم تكريسه لاحقا مع مفهوم " **الحساسية الأدبية** "، والذي نروم من خلاله إعادة النظر في طبيعة الكتابات الأدبية التي لامست موضوع تاريخية الرواية العربية، وقضايا تلقيها منذ عصر النهضة، وصولا إلى مرحلة التجريب التي نعيش في كنفها [12].

وهذا ما يؤكد أن الأدب والفن إبداع وممارسة تاريخية، وعلى أي نظرية حول العمل الأدبي أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار منذ البداية. فأية دراسة مستقصية لتطور الأدب العربي الحديث على امتداد الساعة العربية برمتها، لابد لها أن تتوقف على حقيقة مفادها أن الحساسية الأدبية قد تغيرت مرتين في تاريخ أدبنا العربي الحديث، كانت أولاهما في بدايات القرن التاسع عشر مع عصر الإحياء الذي شهد المحاولات الجنينية الأولى للأشكال السردية الجديدة من رواية وأقصوصة ومسرحية.

ويمكن تحديد مظاهر تغير هذه الحساسية الأدبية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الماضيين، في محاولة الأدب العربي التخلص من أسر مواضعات الأشكال الأدبية التقليدية التي سادت عصر الانحطاط، مقابل السعي إلى تأسيس كتابة إبداعية جديدة، تشكلت في بوتقة البحث الجماعي عن هوية عربية، وعن أنماط أدبية جديدة، قادرة على أن تستوعب مستجدات المرحلة، وتعكسه مطامح ورؤى الزمن الجديد.[13]

والنتيجة أن هذا النمط الجديد أو بالأحرى المتجدد من الكتابة يستمر في إشباع نهم المتلقي بشكل مختلف، ويستمر في تغطية رغباته الفكرية ونهمه للقراءة فشكل يوازي توسع الانسانية في الاستهلاك الحضاري والثقافي.

على الرغم من تعدد موضوعاتية الرواية المعاصرة وانفتاحها على تيمات متنوعة ومختلفة؛ إيديولوجية، سياسية، أساطيرية، ثقافية، واجتماعية، إلا أنها جاءت كلها مندرجة ضمن التمويه الشعري الذي تمارسه الرواية خلال إسقاطات الذات وانفتاحها على عالم الذاكرة ونصوص التاريخ والثقافة، بحيث يمكن اعتبار هذه الذات فضاء لما لا حصر له من الشخصيات الدلائل التي تحيل على واقعية العالم الخارجي، أو على موضوعات ذات حمولة معرفية مؤسسة، تاريخية أو ثقافية، مأخوذة كدلالات ثابتة إلى حد ما أو مستمرة، تمارس حضورها داخل النصوص الروائية.

ظلت الرواية ردحا طويلا من الزمن موضع دراسة ايديولوجية مجردة وتقويم اجتماعي دعائي فقط... مقابل هذه النظرة الايديولوجية المجردة بدأ الاهتمام يتصاعد في نهاية القرن الماضي بالمسائل المشخصة للمهارة الفنية في النثر وبالقضايا التقنية للرواية والقصة.. لم يظهر حتى القرن العشرين طرح واضح لقضايا أسلوبية الرواية، طرح ينطلق من الاعتراف بالأصالة الأسلوبية للكلمة الروائية، ونجد كذلك باختين يرفض التصور التقليدي الذي يرتاح إلى الكلمات الميتة، أو إلى الكلمة المحايدة كما يقول، ويذهب إلى الكلمة المشخصة التي يساوي وجودها وجود كلمات الآخرين فيها، قبولا أو رفضا أو تقاطعا. فلا وجود للكلمات فرادى، فوجودها هو صراعها مع كلمات وتأثرها بكلمات أخرى وتقاطعها القلق مع كلمات لاحقة.

وهذا كله يعين الكلمة كيانا حيا يتكون في علاقات التأثر والتأثير، كما لو كانت حياة الكلمة جملة العلاقات الاجتماعية التي تَعبُرها، ولهذا يقول باختين في الماركسية وفلسفة اللغة : تتكشف كل كلمة، كما نعلم، حلبة مصغرة، تتقاطع فيها وتتصارع لهجات اجتماعية ذات توجه متناقض. تستبين الكلمة، في فم الفرد، نتاجا للتفاعل الحي للقوى الاجتماعية . اتكاء على وضع الكلمة الاجتماعي، التي لا وجود لها إلا في علاقاتها بالكلمات الاجتماعية الأخرى يتحدث باختين، إلى حدود الإسهاب تقريبا، عن حياة الكلمة.

كأن يقول في الكلمة في الرواية: إن الكلمة تعيش خارج ذاتها، في توجهها الحي إلى الموضوع، فإذا غفلنا عن هذا التوجه حتى النهاية لن يبقى بين أيدينا إلا جثة الكلمة، وليست صورة الكلمة إلا صورة اللغة، تتقاسمان التغير والتبدل والوجود الحي المتعدد الدلالات.[14]

برزت كذلك التاريخانية الجديدة، وفي الحقيقة هي ليست مبدأ أو عقيدة، وإنما هي منهج للقراءة والتأويل ويقول أحد النقاد عنها أن: " هذا المنهج يسعى بالإرتكاء على القراءة الفاحصة إلى استعادة القيم الثقافية التي امتصها النص الأدبي، لأن ذلك النص على عكس النصوص الأخرى، قادر على أن يتضمن بداخله السياق الذي أنتج من داخله، وسيمكن من تكوين صورة للثقافة كتشكيل معقد أو شبكة من المفاوضات لتبادل السلع والأفكار"[15]

وهو بالفعل منطق واضح وحتمي أمام كل المحدثين ولا مجال للاختيار، كما أنه الأمر يتم بسلاسة مفرطة دون قيود أو شروط وهي في نظرنا انعكاسات للحضارة الراهنة وسرعة التواصل بين الأجيال والمجتمعات وحتى الأفراد على مستوى خاص.

3.2. غواية السرد المعاصرة وأزمة المعنى:

يشكل السرد الروائي مكانة معتبرة في حياتنا الواقعية والفنية والجمالية والثقافية على السواء، وقد صار أشد ارتباطا والتصاقا بمشاكلنا وأزماتنا المتعددة التي نعانيهان وخصوصا فيما يتعلق بقيمنا الخلقية وثوابتنا التراثيو والعقائدية، وكل مايتعلق بالمجتمع والواقع، فالرواية صارت ذلك الفن الذي احتل الصدارة لدى المشتغلين على موضوعاتها من حيث نشأتها وتطورها ومناهج قراءتها ومدى قدرتها على التعبيرية .

فالكاتب والمتلقي وحتى الناقد كل منهم كان يسعى الى الاسهام بطريقته الخاصة ومنطلقاته الفكرية الى إبراز أهمية هذا الفن، فالرواية لا يمكن أن نعتبرها وثيقة تاريخية أو جمالية بحتة، بل هي نصوص عميقة ذات غواية تلهم قارئها للوصول الى معاني تمس دواخل النفس البشرية وقضايا اجتماعية، وقد " بات من المؤكد في أزمتنا المتأخرة بأن الرواية العربية تتقبل مختلف الأبنية، وتتشرب مختلف الأنساق الثقافية والجماليةن كتلك التي يطرحها المنظرون المعاصرون، سواء بخصوص الحداثة أو مابعد الحداثة، كما أنها قد نجحت في اختراق هذه العوالم الحداثية من خلال تطويرها لأدواتها الفنية وتطويعها لجماليات لغتها، وخاصة تلك اللغة السردية الراقية، التي جعلت بعض الفنون القديمة أداة طيعة للتوظيف الفني"[16].

من المؤكد أن السرد هو ذلك الخطاب التخييلي الذي توسع وتنوع والذي صار لا حصر له، كما عرف بصيغ لا متناهية، وأصبحت سردية أي نص تتجاوز حدود الأدبية، ولقد اقترح النقاد من أجل توسيع الاطار النظري أن تهتم العملية السردية بكل ما هو " مجرد (الكاتب المجرد والقارئ المجرد)، وما هو ملموس (الكاتب الواقعي والقارئ الواقعي)، حيث يستوعب هذا الإطار كل المسهمين في انجاز النص السردي الأدبي، ويسمح لنا في الوقت نفسه بتجاوز التحليل السردي الخالص، وإدخال ايديولوجيا الرواية، والسياق السوسيوثقافي، وتلقي القارئ.

لكننا نرى أنه مهما تعددت الأبحاث في مجال السرديات، فإنها إلى حد الآن لم تتجاوز التوجهين المذكورين، حيث يشكل البحث في سردية القصة، من خلال دراسة المضامين السردية، وتحليل القوانين والضوابط، التي تتحكم في الكون السردي التوجه الأول، أما التوجه الثاني فإنه يبحث في سرية المحكي كخطاب، أي كصيغة نوعية لتمثيل القصة لفظيا، وهنا يمكن القول أن سردية النص هي الطريقة التي تجعل النص يفك رموزه سرديا من خلال حدوث نوع من الانزلاق الاستعاري بين الشكل والمضمون"[17].

بعد أن غزت التقنيات الجديدة الابداع النثري الروائي غاب السرد التقليدي الذي يشرع في وصف لديكور مألوف وعادي، ولعل مشهدية الخطاب الروائي الحديث كان من الروافد التي عمقت مفهوم السرد، وأضفت عليه أبعادا فنية أخرجته من أسر التقليدية الصورية التي حكمت منطق الحكي، وأرغمته على السير في منظور كلاسيكي غير معمق، بل ولم تول خصوصيات عناصر الحكاية من حدث وزمان وشخصيات اي اهتمام هذه العناصر الي أضحت في ما بعد أكثر انفتاحية على بنيات عدة من منظور السردانية الحديثة.[18]

من المؤكد أنه لا وجود لقراءة عفوية تستند إلى حدوس لا معرفية لكي تنتج معرفة، والسائد في الدراسات الأدبية أن المنهج الواحد والأوحد خرافة لا يمكن أن تنتج عنها سوى الأوهام. فالقراءة تستند إلى فرضية يبررها وجود نص يبنى معانيه استنادا إلى قوانين لا يمكن الكشف عنها إلا ارتكازا على تصورات تخص شروط إنتاج المعنى وشروط تداوله وهي فرضيات لا تشكل منهجا، بل يجب النظر إليها باعتبارها ترتيبات تحليلية، قد تفيد من تصورات نظرية متعددة، فالناقد لا يبحث في النص عما يعرفه بشكل مسبق، بل يستدرجه التأويل إلى اكتشاف ما لم يتصوره من قبل.[19]

وبهذا المعنى فالنص هو الذي يفرض منهج قراءته وزاوية مقاربته، بالطريقة التي تجعل المنهج يبدو كأنه لا يطلب الاستقرار، ويقوم في كل مرة بفتح الطريق أمام احتمالات جديدة، ويتقدم بعيدا عن المعيارية والإسقاط والتعسف، وقريبا من النص الأدبي بالشكل الذي يجعل التخييل عنصرا مشتركا بين الكتابة والقراءة، ويسمح للقراءة بأن تكون تورطا للذات القارئة داخل عالم النص الأدبي.

كما يسمح للنص بأن يساهم في توليد وتوسيع امتدادات الخطاب الأدبي. وترفض القراءة بهذا المعنى، أن تكون خاضعة للنموذج نفسه، والقصدية نفسها، وزاوية المقاربة نفسها، ذلك لأن الأكثر أهمية هو العمل في كل مرة على إثارة أسئلة جديدة تحفز على التفكير في أسس القراءة، والأكثر إثراء لمعرفتنا بالأدب هو أن تعمل القراءات على شق الطريق في اتجاه مختلف أنماط المقاربة [20].

3. الخاتمة:

لم تكن الرواية منذ نشأتها فنا عاديا منفردا عن فنون الأدب، فقد تميزت بالفاعلية والانفعالية في أبسط صورها وصولا إلى أنماطها الحديثة، وبخاصة بعد انفتاحها على عناصر الخطاب الذي تطور بتطور اللسانيات وفروعها، فاستثمر الأدباء ذلك التطور بصورة إيجابية بحيث جمعوا بين الثنائيات المتلازمة مثل العنى واللفظ، أو الكلام والمشهد أو الصورة والتصور أو الحقيقة والتأويل، وغيرها من المتلازمات، وفي النهاية ترسخت المظاهر الجديدة والمقاربات المختلفة.

وأبرز ما خلصنا إليه من النتائج في نهاية هذا البحث ما ياتي:

1- يعد الرمز أصل التأويل، لأنه مرتبط بمتعة البحث عما يخفيه النص وراء الظاهر للعيان.

2- الناقد الحقيقي والقارئ العميق لا يكترث للمعاني المرئية، بل يحتفي بما لا يقال بشكل مباشر، ذلك أن الأمر يتعلق بما تأتي به التمثلات الرمزية التي وحدها يمكن أن توسع من دائرة المعنى.

3- ينطلق التأويل من ضرورة النظر إلى وقائع الوجود باعتبارها حاصل سيرورات ترميزية تحتاج إلى تفكيك لكي تسلم مضمونها الحقيقي، فهو يعد من خلال ذلك جوابا عن أسئلة وجودية هي التي قادت إلى إعادة قراءة الموروث الإنساني وتأويله وفق إكراهات الزمن الذي يتمفصل في وحدات ثقافية.

4-إن فعل القراءة هو الذي يحكم تحول الذات من وعي خالص إلى قصد محدد وله دلالات ثقافية معينة.

5-المقاربات الجديدة تنظر إلى النقد باعتباره إنتاجا لمعرفة وإمساكا بطاقة جمالية ثقافية، لا توصيفا خارجيا.

6-في ضوء المقاربات الجديدة قرأ النقاد والباحثين النصوص السردية الروائية المعاصرة، كما سعوا إلى تتبع الآثار التي تتركها الذات التي يفيض عنها النص سردا ووصفا، وتركيبا ودلالة .

7-حاولت الرواية العربية الجديدة تقديم مستويات الكتابة، لأنها الفن الذي يجيب عن الاسئلة التي تطرحها .

8-طرح الروائي المعاصر قضايا المجتمع والواقع بطرق فنية رمزية ودلالة عميقة

9-ساهم النقد الأدبي والثقافي في تطوير دراسة النصوص السردية الروائية.

10-الرواية المعاصرة نص عميق قابل للتأويل ولحل مشكلات المجتمع.

11-تطورت النقد والقراءة من الأدبي الجمالي إلى الثقافي المضمر .

12-يكون التأويل بحسب النموذج مفتوحا على القراءة وهي مستمرة التقلب، ولا يمكن التنبؤ بها، نظرا لأن الناقد يحمل افتراضات وغايات مختلفة

13-يبقى النص مفتوحا أمام التغيرات وحسب الطريقة التي تفك شفراته.

14-إن كانت اللغة وهي الوجه الآخر للفكر، فهي التعبير المشخص عن وجودها الحي، فإن الأشكال الاجتماعية للممارسة اللغوية تعبير على مدى ارتقائها، أي مرآة للنشاط العقلي الذي يلازم اللغة.

15-إن اللغة الأدبية، كالوعي اللغوي للمثقف ثقافة أدبية ملازمة لها، وظاهرة عميقة الخصوصية، إذ أن التضارب القصدي فيها يتحول إلى تنوع لغوي وتعدد لمعنى.

4. الهوامش:

[1]- د. عبد الوهاب بوشليحة: النص آفاق التأويل، قراءات في الرواية العربية الجديدة، دار ميم، الجزائر، ط1، 2023، ص 11.

[2]- د. فتحي بوخالفة : التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 02.

[3]– ألون مونسلو: دراسة تفكيكية للتاريخ، تر: قاسم عبده قاسم، المركز الثقافي العربي للترجمة، الجزائر، ط1، 2005، ص 13.

[4]– د. أحمد العدواني: بداية النص الروائي، مقاربة لآليات تشكل الدلالة، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص 17.

[5]– محمد نور الدين أفاية : الصورة والمعنى، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2019، ص112.

[6]–د. زكية عرعار: الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2022، ص 15.

[7]– د. الطاهر رواينية: الخطاب الروائي المغاربي الجديد، دراسة في سردية آليات المحكي، الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ط1، 2019، ص5.

[8]– د. حمادي صمود: الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، دط، 1988، ص 142.

[9]– أ.د. حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 15 – 16.

[10]– د. مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة، الذات. الوطن . الهوية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2011، ص36.

[11]– د. عبد الوهاب بوشليحة: النص وآفاق التأويل، مرجع سابق، ص 4 – 5.

[12]– عبد المالك أشهبون: الحساسية الجديدة في الرواية العربية، روايات ادوارد خراط نموذجا، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص 11.

[13]– عبد المالك أشهبون: الحساسية الجديدة في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 12.

[14]– د. فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2002، ص 65–67.

[15]– غرينبلات وآخرون: التاريخانية الجديدة والأدب، تر: لحسن أحمامة، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2018، ص10– 11.

[16]– بلحيا الطاهر: الرواية العربية الجديدة، من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة، جذور السرد العربي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص 19.

[17]– د. الطاهر رواينية: الخطاب الروائي المغاربي الجديد، دراسة في سردية آليات المحكي، مرجع سابق، ص 21.

[18]– عبد القادر بن سالم: السرد وامتداد الحكاية، قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، دراسة، مر: فيصل الأحمر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009، ص 9– 10.

[19]– سعيد بنكراد: السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص 7 – 8.

[20]– حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، قراءات من منظور التحليل النفسي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص 8.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. د. عبد الوهاب بوشليحة: النص آفاق التأويل، قراءات في الرواية العربية الجديدة، دار ميم، الجزائر، ط1، 2023.

2. د. فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

3. ألون مونسلو: دراسة تفكيكية للتاريخ، تر: قاسم عبده قاسم، المركز الثقافي العربي للترجمة، الجزائر، ط1، 2005.

4. د. أحمد العدواني: بداية النص الروائي، مقاربة لآليات تشكل الدلالة، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2011.

5. محمد نور الدين أفاية : الصورة والمعنى، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2019.

2. –د. زكية عرعار: الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2022.

1. د. الطاهر رواينية: الخطاب الروائي المغاربي الجديد، دراسة في سردية آليات المحكي، الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ط1، 2019

2. د. حمادي صمود: الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، دط، 1988.

3. أ.د. حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

4. د. مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة، الذات. الوطن . الهوية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2011.

5. عبد المالك أشهبون: الحساسية الجديدة في الرواية العربية، روايات ادوارد خراط نموذجا، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

6. د. فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2002.

7. بلحيا الطاهر: الرواية العربية الجديدة، من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة، جذور السرد العربي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017.

8. عبد القادر بن سالم: السرد وامتداد الحكاية، قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، دراسة، مر: فيصل الأحمر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009.

9. سعيد بنكراد: السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008.

10. غرينبلات وآخرون: التاريخانية الجديدة والأدب، تر: لحسن أحمامة، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2018.

11. حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، قراءات من منظور التحليل النفسي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009.